

عن الوحي، والبيئة ورياض الأطفال والعلاقة فيما بينها
بقلم: دكتور استر بروكس

بالإضافة إلى التغييرات التي نشهدها في محيطنا الثقافي والتكنولوجي نتنا نشهد أيضاً تغييرات كبيرة في رياض الأطفال في إسرائيل، ومع هذا قد نجد نفس الزوايا والألعاب والدُمي والأجهزة والمواد إلخ، بل نفس الحيطان والألواح التي أضيفت إليها بشكلٍ تدريجي أغراضٌ مختلفةٌ من أجل تحفيز الأطفال من الناحية البصريّة.

يمكنُ القول -بشكلٍ مجازيٍ- إنّ جدران الرّوضة أصبحت بمثابة جدار عازل يُحافظ على أطفال الرّوضة من التّأثيرات الخارجيّة الثقافيّة منها والاجتماعيّة. إنّ إغلاق الرّوضة أمام المؤثّرات الخارجيّة يُعرقل في كثير من الأحيان صلة الرّوضة بالمحيط الاجتماعي والثقافي، ويعزل الأطفال عن هذا المحيط.

إنّ السّعي إلى الانفتاح على البيئة الثقافيّة والاجتماعيّة هو أساس التّوجّه التّطوّري التّكاملي الذي يتعامل مع جميع مجالات التّطور لدى الأطفال، ومن جُملة ذلك العلاقات المتبادلة متعدّدة الاتّجاهات بين مكوّنات شخصيّاتهم وبين مكوّنات البيئة التي يعيشون فيها. حسب هذا التّوجّه فإنّ تطوّر الطفل في الرّوضة يخضع لتأثيراتٍ مُتعدّدة ومُتبادلة، ومن جملتها المميّزات الفرديّة للطفّل، ومميّزات عائلته، ومميّزات الإطار الاجتماعي، والمجتمع القريب الذي يعيش فيه الطفل، والبيئة الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي نشأ فيها.

حسب التّوجّه البيئي فإنّ التّعلّم والمعرفة الإنسانيّة ينموان في سياقاتٍ اجتماعيّة، وثقافيّة وماديّة، وكذلك من خلال التّعاون بين أشخاص ذوي خلفيّات مختلفة، أو بين الخبراء وأصحاب وُجّهات نظر مختلفة، إنّ المعلومات التي يكتسبها الطّفّل مُوزّعة بين هؤلاء الشّركاء، وليس بالإمكان الفصل بين الأشخاص والمصطلحات، وبين الأوعية الثقافيّة والمُنتجات الثقافيّة.



إنَّ التَّفَاعُلَ التَّعْلُمِيَّ مَعَ الأَطْفَالِ يَجِبُ أَنْ يَاقُومَ عَلى الأَعْتِرافِ بأَهْمِيَّةِ المَعْلُومَاتِ الَّتِي يَجْلِبُهَا الأَطْفَالُ مَعَهُمْ إلى الرَّوَضَةِ، وَعَلى اسْتِخْدَامِ الرِّصِيدِ النِّقَافِيِّ لِلْمَجْتَمَعَاتِ الَّتِي يَعايش فِيهَا الأَطْفَالُ، وَعَلى ضَرُورَةِ التَّعاوُنِ مَعَ الأَشْخَاصِ المَهْمَمِينَ فِي حَياةِ الأَطْفَالِ، وَنَقْصِدُ بِهِمُ: الأَهالي، وَشَخْصِيَّاتِ أُخْرَى لَهَا تأثيرٌ كَبيرٌ عَلى الأَطْفَالِ.

إنَّ مِصْطَلَحَ أَسْمُوزَا الَّذِي أوجَدْتَهُ مَدْرَسَةُ رَدْجِيو إِمِيلِيَا فِي إِيْطَالِيَا يَمْكَنُ أَنْ يَكُونَ بِمِثَابَةِ رَمْزٍ مَناسِبٍ لِفَهْمِ أَهْمِيَّةِ العِلاقاتِ المُتبادِلَةِ بَينَ الرَّوَضَةِ وَبَينَ المَحيطِ الخَارجي لَهَا وَبالعكس، كَلُّ ذَلِكَ فِي سَبيلِ خَلْقِ مَناخٍ تَربويٍّ يَكُونُ صِوَرَةً صادِقةً عَنِ المَجْتَمَعِ الَّذِي يَعايش فِيهِ الطِّفْلُ.

بِمَقْدُورِ هَذِهِ العِلاقاتِ المُتبادِلَةِ، وَالتَّواصُلِ مَعَ المَجْتَمَعِ المَحيطِ أَنْ يُثْرِي، وَيُساهِمُ بِشَكْلِ كَبيرٍ فِي تَطوُّرِ وَتَعَلُّمِ الأَطْفَالِ فِي الرَّوَضَةِ.

مِنَ المُهْمِ جَدًّا أَنْ يَتِمَّنَعَ أَطْفَالُ الرَّوَضَةِ بِجَمالِيَّةِ الرَّوَضَةِ أَوِ البِستانِ، بِالإِضافةِ إلى تَخْطِيطِ بَينَةِ تَربويَّةٍ تَشجِّعُ عَلى اللَّعْبِ، وَالتَّجاربِ وَالتَّعَلُّمِ، وَتُلَبِّيَ احتِياجَاتِ التَّعَلُّمِ وَالنُّمُوِّ لَدَى الأَطْفَالِ، وَلِذاكَ مِنَ المُهْمِ أَنْ تَنْصَبَ العِنايَةُ لَيسَ ما يُقَدِّمُ لِلأَطْفَالِ فَقط، بَلْ كَيفَ يُقَدِّمُ لِلأَطْفَالِ.

إنَّ الجَمالِيَّةَ الَّتِي تُثيرُ خِيالَ الطِّفْلِ، وَتَشجِّعُهُ عَلى اللَّعْبِ وَالتَّجريبِ، وَالبَحْثِ، وَالتَّفْكيرِ، لَهَا دورٌ كَبيرٌ فِي الرَّوَضَةِ، وَمِنَ جَمَلَةٍ هَذِهِ الأَشْياءُ الجَمالِيَّةُ فِي الرَّوَضَةِ: النِّظامُ، وَالتَّناعُغُ، وَالأَشْكالُ المُختَلِفةُ وَالشَّخْصِيَّاتُ، وَالضَّوءُ، وَاللُّونُ، وَالظِّلُّ، إلخ.

مِنَ المُهْمِ أَنْ تُعَرِّضَ الأَلعابَ وَالأَدواتِ وَالموادَّ بِشَكْلِ يُحَفِّزُ الأَطْفَالِ، وَيثيرُ لَدَيْهِمُ الرِّغْبَةَ فِي اللَّعْبِ، فَالأَلعابُ يَجِبُ أَنْ تُقَدِّمَ وَكَانَها هَدايا، وَقَدْ أَظْهَرَتِ مَدْرَسَةُ رَدْجِيو إِمِيلِيَا أَهْمِيَّةَ تَنْظِيمِ بَينَةِ الرَّوَضَةِ بِحَيْثُ تَتِيحُ فَرصًا عَديدةً لِلتَّعَلُّمِ، وَتُثيرُ خِيالَ الأَطْفَالِ، وَرِغبتَهُمْ فِي التَّجريبِ، وَالحُصُولِ عَلى الفَرِحَةِ وَبَهجَةِ الأِكتِشافِ وَالإِبداعِ، لَعَلَّهُ مِنَ الجَدِيرِ فِي هَذَا السِّياقِ أَنْ نَذْكَرَ جَمَلَةَ رِيعْمُونْدِ فَرُويدِ الَّذِي قالَ: "عَندما لا يَأْتِي الوَحيُّ إِلَيَّ فَإِنِّي أَنهَضُ وَأَلتَقِي بِهِ فِي مَنْتَصَفِ الطَّرِيقِ"، أَي: أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَسْعَى لِلبَحْثِ عَنِ الخِيالِ وَالإِبداعِ وَالوَحْيِ، وَهَذَا هُوَ ما يَحْصُلُ عَندما نُنسِّقُ الرَّوَضَةَ بِشَكْلِ جَميلٍ.

تُوفِّرُ البَينَةُ التَّربويَّةُ الجَيِّدَةُ لِلأَطْفَالِ مُحَفِّزَاتٍ غَنِيَّةً، وَتُوسِّعُ مَعارِفَهُمْ، وَتُطوِّرُ مَهاراتَهُمْ، وَتُساعدُهُمْ فِي التَّعَلُّمِ عَنِ وِجودِهِمْ، كما تَمكِّنُهُمْ مِنَ ضَبْطِ أَنفُسِهِمْ، وَمِنَ المَهْمِ أَنْ تَتَوفَّرَ فِي الرَّوَضَةِ مُحَفِّزَاتٌ تَشجِّعُ الأَطْفَالِ عَلى البَحْثِ وَالتَّجريبِ وَاللَّعْبِ وَالتَّفَاعُلِ فِيمَا بَينَهُمْ.

تَشْمَلُ البَينَةُ التَّربويَّةُ فِي الرَّوَضَةِ الفِضاءاتِ المُختَلِفةَ، وَساخاتِ اللَّعْبِ اليَوميَّةِ، تِلْكَ الَّتِي داخِلَ الرَّوَضَةِ أَوْ خَارجِها. يَجِبُ عَلى هَذِهِ الفِضاءاتِ أَنْ تَكُونَ مَكشُوفَةً لِأشْعةِ الشَّمْسِ، وَتَسْمَحُ بِمَرُورِ الهِواءِ النَّقِيِّ، بِالإِضافةِ إلى تَوفُّرِ النِّظافةِ فِيها. مِنَ المُهْمِ أَنْ يَكُونَ الأَثاثُ وَالأَعْرَاضُ المَوجُودَةُ فِي الرَّوَضَةِ جَميلَةً، وَتَتِيحُ وَصولَ الأَطْفَالِ إِلَيها بِسَهولَةٍ بِحَيْثُ تَناسِبُ مَبناهُمُ الجَسَدي، وَقدراتُهُمُ الحَرَكيَّةُ، كما يَجِبُ أَنْ تُضمِنَ سَلامَتَهُمْ.

إنّ تنظيم البيئة التّربويّة في الرّوضة جزء من خطّة العمل التي تبنّيها مُربيّة الرّوضة والطّاقم، وتنظيم البيئة هو أحد الأسس المركزيّة في خلق مناخ تربوي سليم في الرّوضة، إلى جانب ضمان تفاعل نوعي بين جميع المشاركين في العمليّة التّربويّة، مع الأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الشّعوريّة والاجتماعيّة والقيميّة، ودورها في العمليّة التّربوية. من المهمّ تصميم الرّوضة بحيث تحفّز الأطفال، وتثير لديهم الرّغبة في البحث واكتشاف البيئة، ومع ذلك من المهمّ توفير بيئة هادئة أيضًا غير حافلة بالمثيرات الحسيّة.

ينبغي أن تكون الألعاب والأغراض الموجودة في الرّوضة مناسبة لمرحلة نُضوج الطّفل وحجمه، وأن تضمن سلامته، وأن تكون متاحة لجميع أطفال الرّوضة حتى لذوي الإعاقات أيضًا.

يمكن أن نطلب من الأطفال أن يحضروا الأغراض والألعاب إلى المكان الذي يريدونه، لكنّه ينبغي عليهم مع نهاية النشاط أن يتعلّموا إعادة الأغراض والألعاب إلى أماكنها التي كانت فيها، بشكلٍ مستقلّ ودون مساعدة من المربيّة، ومن المحبّب أن يعرف الأطفال أماكن تخزين هذه الأغراض، بحيث تكون معروفة لجميع الأطفال كي يتمكّنوا من أخذها وإعادتها بعد تمام النشاط.

من المهمّ إشراك الأهالي في عمليّة بناء معرفة الطّفل وتربيته، وتصميم البيئة التّعليميّة في الرّوضة، إنّ أحد الأهداف الرئيسيّة للرّوضة هو خلق علاقات اجتماعيّة نوعيّة متبادلة بين الأطفال وبين بعضهم البعض، وبين الأطفال وبين طاقم الرّوضة، وبين الأهالي وطاقم الرّوضة. يمكن تطوير الأهداف بواسطة تخطيط مناطق لعب تعاونيّ، أو فعاليات أخرى مع أغراض ليّنة ومُهدّنة، تُشجّع الأطفال على أن يكونوا معًا، ويشعروا وكأنّهم في بيوتهم، من المهمّ تزويد أماكن أو أركان اللّعب في الرّوضة بأغراض حقيقيّة، أغراض لعب من البيت، أو أغراض من البيئة الطبيعيّة للأطفال.

مبادئ في تخطيط وتصميم البيئة التّربويّة في الرّوضة

يتوجّب على البيئة التّربويّة في الرّوضة أن:

- ✿ تتيح للأطفال ممارسة أنشطة، وتنفيذ فعاليات وتجارب في البيئة بدون وساطة.
- ✿ تشجّع التّفاعل النّوعي بينهم وبين البالغين من جهة، وبينهم وبين بقية أطفال الرّوضة من جهة أخرى.
- ✿ تحفّز الأطفال على اللّعب بمختلف أنواعه.
- ✿ تتيح ممارسة أنشطة في المواضيع التي تهتم الأطفال، وممارسة أنشطة يُحبّونها.
- ✿ تتيح للأطفال حرّيّة الاختيار، والتّعبير عن ميولهم الفرديّة.
- ✿ تتيح تحديّات وتجارب ونجاحات.
- ✿ تشجّع التّجريب والبحث.
- ✿ توفّر لهم الشّعور بالراحة والطّمأنينة والشّعور بالأمان.

- ما الذي يلائم تخطيط وتصميم بيئة تربويّة في رياض الأطفال؟
- من المهم في تخطيط البيئة التّربويّة في الرّوضة أن نأخذ بعين الاعتبار النّقاط التّالية:
- ✿ المبنى والمعطيات الهندسيّة الأساسيّة للرّوضة من حيث سلامة الأطفال، والنّظافة، والاضاءة والتهوئة، سواء داخل الرّوضة أو خارجها.
 - ✿ دمج أغراض بيئيّة توفّر شعورًا لطيفًا ومقدارًا من الحميميّة.
 - ✿ توفير مناطق للنّظافة الشّخصيّة، والفعاليّات الرّوتينيّة.
 - ✿ أن تلائم الأغراض والأثاث وأماكن التّخزين المرحلة العُمريّة لأطفال الرّوضة، وتخصيص زوايا وأركان ومراكز ومناطق أنشطة ولعب محدّدة في حيّز الرّوضة، وفي السّاحة بما يتناسب ونضج الطفل.
 - ✿ توزيع أغراض وحاجيات من ثقافة عائلة الطفل، من أجل تشجيع الانتماء لدى أطفال الرّوضة.
 - ✿ بيئات يستطيع الأطفال اللّعب فيها مع الأصدقاء والصّدقات، أماكن يستطيعون فيها أن ينفردوا فيها وحدهم.
 - ✿ مواد وأغراض مختلفة تتيح للأطفال التّجريب، واللّعب والتّعلّم، مثل: موادّ من الطّبيعة، موادّ مفتوحة، مواد للبحث والإبداع، ومواد تمّ تدويرها.
 - ✿ عدد من الأدوات والأجهزة من أجل تطوير مهارات الأطفال في البحث، ومن أجل خلق صلة وتواصل بين الأطفال وبين بيئتهم.
 - ✿ يجب أن تكون هناك ليونة في تصميم واستخدام مُكوّنات البيئة التّربويّة، بحيث يمكن إجراء تغييرات وملاءمتها لاحتياجات الأطفال التي قد تنشأ مُستقبلاً.
 - ✿ شفافية تتيح للمربيّة ولطاقم الرّوضة أن يروا ماذا يجري في محيط الرّوضة الخارجيّ، وأن يوحي ذلك بوجودهم، ومتابعتهم لما يدور في الرّوضة، ممّا يمنح الأطفال شعورًا بالأمان.